# معالجة الصحفية الساخرة للفساد / صحيفة المدى أنموذجا

## دراسة تحليلية لخطاب الصورة الكاريكاتيرية

م . م . عدنان سمير دهيرب ★
كلية الآداب / جامعة المثنى

## المستخلص

تعددت وتوسعت بؤر الفساد المالي والإداري في الدولة العراقية خلال الأعوام الماضية بعد التغيير في شكل النظام السياسي ، حتى اضحت هذهِ القضية ظاهرة تهم الرأي العام وكل وسائل الإعلام لما لها من أثر بالغ على مختلف الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتعليمية المختلفة والتراجع في عملية التنمية التي انعكست على حياة الأفراد .وقد أفضى ذلك إلى إسهام الصحافة في كشف ومعالجة هذهِ الظاهرة بصفتها جزءاً من وظيفتها التنويرية والرقابية ، بأشكال مختلفة من أبرزها الكاريكاتير الذي يعد فناً مهماً في كشف الفساد بأسلوب مغاير عن أساليب الصحيفة للتأثير على الجمهور . وقد اتخذ البحث الرسومات الكاريكاتيرية المنشورة في جريدة المدى نموذجاً في تناوله لهذهِ القضية بوصفها صحيفة مستقلة وجريئة ومهنية ، بطرحه أسئلة تتعلق بإسهام الرسم الكاريكاتيري في كشف ومعالجة الفساد المالي والإداري والأفكار التي تحملها اللوحات . ومدى مشاركة الرسام مع تطلعات الجمهور في كيفية معالجة هذهِ الظاهرة . وتناول البحث دراسة وتفسير مضامين عدد من اللوحات التي نشرتها الصحيفة وتحليل خطابها حول هذهِ الظاهرة وتكمن أهمية البحث في انه يتناول موضوعاً له علاقة بالثقافة البصرية ودورها في إيصال الرسالة الصحفية من خلال الكاريكاتير الذي أصبحت له مساحة ثابتة يطلع عليها قراء الصحيفة بمختلف مستوياتهم التعليمية .

وجدنا أن رسام الكاريكاتير فضح الأجهزة الحكومية عن طريق أشخاص مهمين لهم دور كبير في سياسة الدولة . وكشف مستويات الفساد والمعالجات الضعيفة لهذهِ الظاهرة وانعكاساتها على المجتمع والفرد واختزال مرحلة سياسية تتعلق بحكم أحزاب الإسلام السياسي ودورها في هذهِ القضية وإسهامها بضياع أموال الشعب . وهذه الرسائل التي جسدها فنان الكاريكاتير في الصحيفة عن طريق رسومات تتماهى أو تتوافق مع خطاب الصحيفة التي ترى إن الطبقة السياسية المهيمنة على مفاصل الدولة كانت السبب وراء تفشي ظاهرة الفساد المالي والإداري ، فضلا عن إن الرسام حاول تحريض الجمهور بضرورة استمرار الحركة للضغط على الجهات المختصة لمحاسبة ومعاقبة الفاسدين وتوفير المعرفة والإدراك بحجم الفساد الذي يحيط بالشعب وعدم الوقوف موقف المتفرج من هذه الظاهرة المستشرية في المجتمع والتي ألقت بظلالها على حياة المواطن وحركة مؤسسات الدولة .

adnansamir41@yahoo.com

# Analytical Study of Cartoon picture al-Mada Newspaper is a model

Assisstant lecturer: Adnan Samir
University of Al Muthana
College of Arts
Adnansamir41@yahoo.com

**Abstract**

***The researcher studies and explains the content of some pictures that are published in al-Mada newspaper. The research is important as it deals with a topic that has a relation with visual culture and its role to transfer the press letter to the audience. The researcher finds that cartoonist exposed the security services through important people who have a major role in state policy and reveals the level of corruption and the weak treatments for this phenomenon and its reflection on the whole society and individuals. In addition to that, cartoonists try to encourage the public for going on the peaceful demonstrations since it is a good tool to make pressure on the government to punish the corrupts.***

## المقدمـــــة

إن تعدد وظائف الإعلام أضفى على الصحافة التي تتسم بالكلمة أساساً لمضمونها والعمل على إيجاد وسائل أخرى تستكمل فيها وظيفتها وتنوع في شكل الرسالة بهدف إيصالها إلى القارئ أو المتلقي الذي أضحى وسط حزمة من وسائل الاتصال التي تفرض حضورها وتأثيرها بإشكال تنافسية تعتمد التقنية والإبداع والإغراء في عرض الرسالة الإعلامية وسرعة نشر الأحداث التي تقع وتحليلها . فالصحفي حسب تعبير البير كامو هو ( مؤرخ اللحظة ) ، ولعل تاريخ اللحظة سيكون حاضراً في الصورة أيضاً(١) .

تلك الصور بواقعيتها ، أو تجسيدها لقضية ما عن طريق أشخاص لهم درجة من الشهرة والأهمية في الدولة والمجتمع بأشكال كاريكاتيرية غدت الصحافة حاضنة له وتتسابق الصحف الرصينة على ضمه كشكل يرتبط بها لإيصال خطابها والتأثير على الرأي العام في تناول القضايا المهمة المتعلقة به فالكاريكاتير هو احد ضروب الفن التشكيلي فضلاً عن عدها واحد من الفنون الصحفية، الذي يقوم على المبالغة في رسم حقيقة وجوهر الإنسان والخفايا المستترة لتجسيدها بشكل ساخر وتهكمي لتغدو واضحة وبارزة ودعوة المتلقي إلى المشاركة والتفاعل ، بالإشارة أو التضمين الذي يطرحه الفنان في اللوحة حول قضية ما تحصل في المجتمع . فهو رسالة غير لفظية يسهم الفنان بإرسالها من عن طريق الكاريكاتير ، الذي أضحى يأخذ مساحة أو حيزاً ثابتاً في تلك الصحيفة يعتاد القارئ على الذهاب إليها للاطلاع والتأمل في مضامينها الدلالية وتفسيرها حسب المستوى المعرفي وأهمية القضية المطروحة وارتباطها به .

وطيلة الأعوام المنصرمة بعد تغيير شكل النظام السياسي في العراق وتضخم عدد الصحف الصادرة ، أصبح لزاماً على الصحف أن تتبارى في الكيفية التي تعرض فيها موادها وموضوعاتها لكسب أكبر عدد من القراء ، مستفيدة من حرية الرأي والتعبير التي شهدها البلد . تلك الحرية التي تعد البيئة المهمة للكاريكاتير التي يتخذها منطلقاً لتجسيد قضية ما . لذلك فأن خيط الحرير الذي يفصل بين حرية التعبير وحرية التشهير هو الرسم الكاريكاتيري الذي يحمي حرية الرسام في التعبير إزاء القضايا ومنها قضية الفساد المالي والإداري الذي يشير إليه ويتوافق عن طريقه مع خطاب الصحيفة .

فليس يسيراً اتهام رسام الكاريكاتير بالتشهير لشخصية معينة ، مثلما يخضع كاتب المقال للمساءلة القانونية ، إذ أن الرسام لا يعلق الاسم مباشر للشخص أو الجهة المعينة بالنقد ، بل يشير اليه بأشكال معينة عن طريق مفارقات وعلامات تظهر بالوجه تتميز

بـه تلـك الشـخصية ويـرى الرسـام أنها تعبر عـن مضمون الفكرة المقترنة بالشـخص ويسـعى لإيصالهـا إلـى المتلقي والتأثيـر على اتجاهاتـه وميوله .

وقضيـة الفسـاد المالي التي انتشـرت في العـراق كانت نتيجتها خـروج تظاهرات جماهيرية واسـعة علـى مـدى أكثـر مـن عام ونصـف ونشـر مئـات المقـالات والتحقيقـات والتقارير في الصحـف وتناولـه مـن قبل جهات معنيـة دولية ومحلية إذ أن السـفير الأمريكي في العراق ذكر بتاريـخ ٢٠١٧/٤/٣ م ( أن تسلسـل العـراق يأتـي ضمن قائمة الدول الأكثر فسـاداً ١٦٦ من أصـل ١٧٦ دولـة ) وذلـك أدى إلى تراجع النمـو وتخلف الواقع الاقتصـادي الذي انعكس على مسـتويات مخيفـة فـي الجوانـب الصناعيـة والزراعيـة والتعليميـة والصحية والخدميـة كل تلك الأسـباب التـي انعكسـت على المواطـن أفضت إلى ضرورة إسـهام فنان الكاريكاتير في كشـف ومعالجة هذهِ القضية المهمة ، التي عبر عنها رسـام جريدة المدى بسـام فرج بأفكار ولوحات متنوعة اتسـمت بالسـخرية والتهكم تارة والجدية تارة أخرى بسـبب أهميتها وأثرها السـلبي على المجتمـع والدولـة وانعكاسـاتها حاضرا ومسـتقبلا . فاللوحـات الفكرية الواقعية تجسـد حكايات تتعلـق بصلـب حيـاة المواطن الذي ظـل يكابد الفقر والفاقة نتيجة لهـذه الظاهرة . لذلك تناولها الفنان بهذا العمق كفن تشـكيلي أكثر منها لوحات كاريكاتير للسـخرية والتسـلية والنقد بإشـكال مختلفة من فن الكاريكاتير ودفع المتلقي إلى التفاعل مع الأفكار التي يطرحها الرسـام بلوحاته التي جسـدت أسـاليب وطرق الفسـاد التي يتبعها المتهمون بها . وقد حددت الصحيفة للرسـم مكاناً ثابتاً في صفحتها الأخيرة ، ولأهمية الدور الذي يقوم به والإسـهام في المشـاركة لفضح هـذهِ القضيـة دعـت الضـرورة إلـى الدراسـة والبحث والتفسـير وتحليـل خطاب الصـورة حول إسـهام وتأثيـر رسـام الكاريكاتيـر بأفكاره المغايرة لمـا يطرح حول هذهِ القضيـة في الصحيفة .

## أولاً : الإطار المنهجي للبحث

### ١- مشكلة البحث

تتلخص المشكلة بالتساؤلات الآتية .

أ. كيف أسهم الرسم الكاريكاتيري في الصحافة العراقية بكشف ومعالجة الفساد المالي والإداري ؟

ب. ما الدور الذي يقوم به رسام الكاريكاتير في فضح الفساد في الجهاز الحكومي ؟

ت. مـا مشـاركة رسـام الكاريكاتير مـع تطلعات الجمهـور ومنظمات المجتمـع المدني لتحقيق الإصلاح عـن طريق معالجة الفسـاد ؟

ث. ما هو الخطاب الذي تحمله اللوحات والرسوم الكاريكاتيرية إزاء هذهِ المعضلة ؟

## ٢- منهج البحث

اعتمد هذا البحث المنهج المسحي كونه من البحوث الوصفية وتم اختيار طريقة تحليل الخطاب إذ اعتمد الباحث سبع لوحات نماذج نشرت في جريدة المدى . والسعي إلى معرفة كيفية تناول ظاهرة الفساد المالي والإداري في الرسم الكاريكاتوري المنشور في الجريدة وتفسير الأفكار والرسائل التي جاءت بتجسيد الفنان لهذهِ الظاهرة .

## ٣- مجالات البحث

تمثل صحيفة المدى التي تصدر في بغداد وتوزع في عموم المحافظات العراقية ، والرسوم الكاريكاتيرية التي تنشرها المجال المكاني في هذا البحث ، فيما كان المجال الموضوعي الرسوم الكاريكاتيرية التي نشرتها الصحيفة بوصفها من الصحف المستقلة والرصينة والمهنية ، وتمتاز بمقروئيتها وانتشارها الواسع في العراق ، وقد أتسمت بثباتها اليومي على تحديد مساحة للرسم الكاريكاتوري كشكل من أشكال خطابها ، الذي يتناول موضوعات شتى ، بجرأة وموضوعية ، ومنها موضوع الفساد المالي والإداري ، الذي يعد من أهم قضايا الرأي العام العراقي .

أما المجال الزماني فقد حدد بين عامين ٢٠١٦-٢٠١٧ بسبب استمرار التظاهرات الجماهيرية المطالبة بمعالجة الفساد المالي ، ومشاركة جهات سياسية أفضت إلى منح التظاهرات قوة وثقل جماهيري بعدما كانت التظاهرات محدودة من حيث العدد . فضلاً عن استمرار مؤشرات الفساد وتقدم العراق في سلم الدول الأكثر انتشاراً لهذهِ القضية من قبل المنظمات الدولية المعنية بمؤشرات الفشل ، وعدم جدية الدولة بمعالجة هذهِ الظاهرة .

## ٤- أهداف البحث :

- معرفة مدى إسهام الكاريكاتير المنشور في فضح الفساد المالي والإداري .
- تحديد الكيفية التي يتعامل بها رسام الكاريكاتير مع هذهِ القضية التي غدت تشكل معضلة كبيرة يعاني منها المجتمع والدولة .
- ما مدى انسجام رسالة الكاريكاتير مع رسالة الجمهور وتطلعاته في معالجة ظاهرة الفساد ؟
- معرفة عمق ورمزية الرسالة التي يحملها الرسام ، وإمكانية إيصالها إلى طرفي القضية الجمهور والحكومة .
- ما مدى سخرية رسام الكاريكاتير من المعالجة الحكومية لهذهِ القضية .

## ٥- أهمية البحث

تتجسد أهمية البحث في تناوله موضوعاً يتعلق بالثقافة البصرية ومنها الكاريكاتير . لما يشكله من دور في العملية الاتصالية ، وركناً يلجأ إليه القراء باختلاف مستوياتهم الثقافية والتعليمية . ودعوتهم للتفاعل والمشاركة بالأفكار من خلال ما تطرحه الرسالة برمزيتها والرسوم بمبالغتها سواء كانت ساخرة أو جدية . بما يتوافق مع الاتجاهات الفكرية والاجتماعية ، سيما وأن الكاريكاتير أضحى يجسد وظيفة مغايرة لما هو سائد في الصحيفة . إذ توصف الكلمة المكتوبة أساً لمادتها في تناول الموضوعات والأحداث والأخبار ، وتجسيداً لوظيفتها التعليمية والتوجيهية والترفيهية .. الخ .

## ثانياً : الإطار النظري

### الفن رسالة الإعلام الأولى

تعد الأعمال الفنية والملحمية التي جسدتها عبقرية الإنسان في الحضارات القديمة ، حين أخذ الوعي يدب إلى تفكيره ليعبر عن البيئة والمحيط الذي يكتنفه برسومات تكبح جماح الخوف والمجهول الذي يشعر به وتضئ الكهوف التي يحتمي بها لمواجهة القوى الطبيعية والموجودات التي تهدده ، تلك البقايا من الإرث الإنساني والفني أضحت الرسالة الاتصالية الأولى. ففي مجال التاريخ الأدبي أو الجمالي فأن أول نص إعلامي وبشري في التاريخ ، هو حتماً رسوم الإنسان البدائي الأول على جدران كهفه المظلم الذي شع نوراً من قبس حرية التعبير . ولعل الرسوم وما تركه الإنسان في حضارة وادي الرافدين والحضارات الأخرى هي من ضروب الإعلام المكتوب وفقاً لمعايير العصر آنذاك (٢) .

وسواء كانت الصور موحشة أو مخففة عن النفس أو كانت مدهشة أو فاتنة ، أو كانت يدوية أو آلية أو متحركة ، بالأبيض والأسود أو بالألوان من صامتة أو ناطقة فإنها تمارس الفعل وتحث على رد الفعل ، وهو الشيء الأكيد منذ القدم (٣) .

والعمل الفني ليس أثراً تحفظه الذاكرة أو يختزنه الشعور ، بل هو موضوع عيني أو شيء حي يشغل حيزاً من المكان . وهذا العمل الذي حققته اليد ،ما زال في استطاعة اليد أن تلمسه وتسايره فهو شيء حاضر ماثل أمامنا ، كما كان شي حاضرا ماثلاً أمام الأقدمين . وإذا كانت الوقائع التاريخية هي مجرد ذكريات ، فأن العمل الفني هو واقعة حاضرة تتمتع بقوة البنية . وإذا كانت كل آثار التاريخ هي في حاجة إلى قرائن أو أسانيد أو شهادة ، فأن العمل الفني هو الذي يشهد لنفسه . كواقعة ايجابية أو حقيقة متمايزة (٤) .